



الأحد 10/1/2010

الشيخ محمد خير الشعال

سلسلة مكارم الأخلاق

ثمرات مكارم الأخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

هذا هو الدرس الثاني من سلسلة مكارم الأخلاق وقد بينا أن الإسلام أمور ثلاث: عقيدة وشريعة وأخلاق.

ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين، ومن زاد عليك في الأدب زاد عليك قرباً من الله تعالى، وبمقدار ما تخلّق أحدنا بالأخلاق الحسنة اقترب من حضرة الله تعالى وبقدر تحلي الإنسان بالأخلاق السيئة بقدر ما يتعد عن رضا الله تعالى.

وقد تحدثنا في الدرس الماضي عن أسباب تدريس هذه السلسلة من مكارم الأخلاق وعنوان درسنا اليوم ثمرات مكارم الأخلاق.

ثمرات مكارم الأخلاق خمسة:

1- محبة الله عز وجل:

فالله يحب مكارم الأخلاق وقد ذكر الله لنا في القرآن الكريم لمرات عديدة حبه لأصحاب الأخلاق الحسنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195] والإحسان خلق نبيل بأن تحسن إلى زوجك وأولادك وجيرانك وعمّالك وإخوانك وأقاربك وإلى النبات الذي بين يديك وإلى الحيوان...

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9] أي العادلين اللذين يعدلون مع من حولهم من

الناس.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146] والصبر خلق نبيل.

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، لَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا مُتَكَلِّمٌ إِذْ جَاءَهُ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَقَالُوا: ... يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» [الحاكم].

الإيمان ما وقر في القلب وصدقته اللسان وحققته الأركان.

نريد أن نرى التزامك بهذا الشرع من حفظك للسانك وعينك، وإكرامك لأبيك وأهلك، واحترامك للكبير وعطفك على الصغير... أما أن يكون إنسان مؤمن وكلامه فاحش ولا يحترم الكبير ويسيء معاملة أمه وأبيه ولا يحفظ عهداً ولا يؤتمن على أمانة... ثم يقول: أنا أصلي وأصوم. حدثني أحد الإخوة أن أحد الحجاج فقد بعض متاعه في طريق عودته من الحج في المطار وإذا به يرفع السكين على صاحب مكتب السفر الذي أخذه!!

أخبرت عن رجل لما وصل إلى الحرم ورأى الزحام الشديد حلف بالله أن لا يطوف حول الكعبة!!

رجل أقرض حلاقاً مبلغاً من المال على أن يرده إليه بعد ستة أشهر ولما حان وقت الأجل لم يأت الدائن فأتى المدين إليه ليسله عن ماله فأجابه: لا مال لدي فما رأيك أن أحلق لك بهذا المبلغ!!

حُدِّثْتُ عَنْ بَعْضِ الْإِخْوَةِ عَرْضَ بَيْتِهِ لِلْبَيْعِ فَأَعْجَبَ بِهِ رَجُلٌ وَاتَّفَقَا عَلَى الْبَيْعِ وَقَامَا بِعَقْدِ شَفْوَى عَلَى اسْتِلامِ الْمَالِ بَعْدَ أُسْبُوعٍ وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ جَاءَهُ زَيْبُونُ جَدِيدٍ لِيَزِيدَ عَنِ الرِّقْمِ الَّذِي بَاعَهُ بِمِئَةِ أَلْفِ لِيرَةٍ فَقَالَ: أَنَا بَعْتُ الْبَيْتَ وَبِإِمْكَانِكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى صَاحِبِهِ الْجَدِيدِ.

فإذا لم يتمثل الإيمان في أخلاقنا فلا إيمان لنا ومن أهم آثار الصلاة أنها تنهاك عن الفحش في

الكلام؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ [العنكبوت: 45].

قال الأبشيهي: (كان عدي بن حاتم الطائي يعادي النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً إلى طي، فهرب عدي بأهله وولده ولحق بالشام، وخلف أخته

سفانة، فأسرهما خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أتى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالت:

يا محمد هلك الوالد، وغاب الرافد، فإن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإن أبي كان سيد قومه يفك العاني، ويقتل الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الدمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد في حاجة فردة خائباً، أنا بنت حاتم الطائي.

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «يا جارية هذه صفات المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه. خلوا عنها، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق» وقال فيها: «ارحموا عزيزاً ذل وغنياً افتقر، وعالمًا ضاع بين جهال».

فأطلقها ومنّ عليها، فاستأذنته في الدعاء له، فأذن لها، وقال لأصحابه اسمعوا وعوا، فقالت: أصاب الله ببرك مواقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا وجعلك سبباً في ردّها عليه.

فلما أطلقها صلى الله عليه وسلم رجعت إلى قومها، فأنت أخاها عدياً وهو بدؤمة الجنّد، فقالت له: يا أخي انت هذا الرجل قبل أن تعلقك حباله، فإني قد رأيت هدياً ورأياً سيغلب أهل الغلبة رأيت خصلاً تعجبي.

رأيتك يحبُّ الفقير، ويفك الأسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود ولا أكرم منه صلى الله عليه وسلم. وإني أرى أن تلحق به، فإن يك نبياً فللسابق فضله، وإن يك ملكاً فلن يذل في عز اليمن.

فقدم عدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فألقى له وسادة محشوة ليفاً، وجلس النبي صلى الله عليه وسلم على الأرض، فأسلم عدي بن حاتم، وأسلمت أخته **سفانة** بنت حاتم [المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي].

فالأخلاق الحسنة تحول العدو إلى صديق والكافر إلى مسلم، بينما الأخلاق السيئة تحول أقرب المقربين إلى عدو وقد تخرج إنساناً من الدين.

كلما زدت من أخلاقك العالية أحببك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأدناك منه يوم القيامة.

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم عظيمة جداً وقد قال العلماء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى

خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]: فيها خمس مؤكدات:

- أ. إن: حرف مشبه بالفعل يفيد التأكيد.
 - ب. لَعَلَى: اللام لام المرحلة وهي تفيد التأكيد.
 - ت. عَلَى: يفيد باللغة الاستعلاء فتخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأخلاق العظيمة حتى علاها وتمكن منها وصار فوقها.
 - ث. عَظِيم: تتناسب مع قائلها، وهو الله جل جلاله.
 - ج. الجملة الاسمية: وهي تفيد الثبوت وال لزوم والتأكيد.
- فإذا أردت أن تجلس قريباً منه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة في الجنة ينبغي أن تكون أخلاقك عالية وإلا فلن تتمكن من الجلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن العادة جرت أن المتجانسان يتجالسان وقد سبق معنا الكلام عن هذا في المحاضرة الماضية.
- ما ينقصنا لتكون مع رسول الله هو أن نغالب أنفسنا حتى نتخلق بالأخلاق الحسنة وسيأتي معنا درس للطريقة التي نتخلق بها بالأخلاق الحسنة ونبتعد بها عن الأخلاق المردولة.
- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا» [الإمام أحمد وابن حبان].
- تخاصم زوج مع زوجته ولما حان وقت الغداء قال لابنه: يا بني اشتر لي طعاماً من السوق، فقال الابن: إن أُمِّي صنعت طعام الغداء! فقال الأب: إن بيني وبين أُمِّكَ خصومة ولعلي إذا أكلت من جهدها أن لا تسامحني فانطلق الابن موصلاً هذا الكلام لأُمِّه فبكت الزوجة وأتت إلى زوجها لتقول له: أنا كلي لك.

عَنْ إِيَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي دُبَابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ» فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ذَرْنِ النَّسَاءَ عَلَى

أَزْوَاجَهُنَّ، فَرَحَّصَ فِي ضَرْبَيْنِ، فَأَطَافَ بِآلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءً كَثِيرٌ يَشْكُونَ
أَزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءً كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ
لَيْسَ أَوْلَيْكَ بِخِيَارِكُمْ» [أبو دود والحاكم والإمام أحمد].

3- تأخذ بك الأخلاق إلى الجنة والأجر الكبير:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:
«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» [أبو داود والإمام أحمد].
عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي
رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ
مَازِحًا وَبَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ» [أبو داود].

النفس لا تحب هذه الأخلاق الحسنة بل تحب أن لا يكون لها خلق، وأن تنظر إلى الحرام
بغير ضوابط، وتصرخ في وجه كل من لا يسرها أمره... لكن الجنة تنتظر أصحاب الخلق الحسنة.

4- زيادة الأعمار والأرزاق وإعمار الديار:

فالخلق الحسن يزيد المال بين يديك ويطيل عمرك ويعمر ديارك والعكس صحيح.
فترى صاحب دكان لسانه سليط ينفر منه الزبائن وكانوا يقولون في المثل: سعة الأخلاق
كنوز الأرزاق.
فكم من أناس يأتي رزقهم من أخلاقهم، وقد يُرْفَعُ في عمله بسبب أخلاقه لا شهاداته حتى
كثرت القصص التي جاءت بأن إنساناً زوج ابنته الوحيدة لشاب يعمل لديه بسبب أخلاقه.
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ
الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ
يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ» [الإمام أحمد].

ومن كان سريع الغضب فإن الجلطة ستكون قريبة منه جداً وكذلك السكتة الدماغية.

5- الفوز بخيري الدنيا والآخرة:

وهذا خلاصة الثمرات الماضية.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمَرْأَةُ مِنَّا يَكُونُ لَهَا زَوْجَانِ ثُمَّ تَمُوتُ فَتَدْخُلُ الْجَنَّةَ هِيَ وَزَوْجَاهَا، لِأَيِّهِمَا تَكُونُ لِلأَوَّلِ أَوْ لِلآخِرِ؟، قَالَ: «تَخَيَّرَ أَحْسَنُهُمَا خُلُقًا كَانَ مَعَهَا فِي الدُّنْيَا يَكُونُ زَوْجَهَا فِي الْجَنَّةِ يَا أُمَّ حَبِيبَةَ، ذَهَبَ حُسْنُ الْخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [الطبراني].

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.
والحمد لله رب العالمين.